■ الباب الثاني عشر

المنقـــذ

في ربيـع عـام ١٩٥٢ كتبـت مبتهجـاً لإلايْجـا محمـد ولأهلـي لأن لجنـة إطـلاق السـراح بالضـمان قـررت إطـلاق سراحي . استغرق تنفيذ ذلك عدة شهور بسبب الإجراءات الروتينية والبيروقراطية قبل أن يطلقوا سراحي ويضعوني تحت وصـاية أخـي الأكـبر في ديترويـت ، ولفـرد ، الـذي كان يدير متجراً للأثاث هنالك . استطاع ولفرد أن يجد صاحب متجر يهودي يوقع تعهداً بتخديمي بمجرد إطلاق سراحي .

بالنسبة لشورتي علمت عن طريق الإشاعات أنه أيضاً مرشح لإطلاق سراحه بالضمان إلا أنه كان يجد صعوبة في العثور على شخص ذي سمعة حسنة يتعهد بتخديمه . (بعد ذلـك بـزمن عرفـت أن شـورتي درس التـأليف الموسـيقي في السجن وبـرع في ذلـك المجـال حتـى أنـه ألـف بعـض القطـع الموسـيقية وأذكـر أنـه أسمـى واحـدة منهـا « كونشـيرتو الباستيل ») .

اختياري لمدينة ديترويت بدلاً من بوسطن أو هارلم كان بسبب وجاهـة بعض الأسباب التي كتب لي أهلي بها . هلدا خاصة كتبت لي أنني ما زلت بحاجة لدراسة تعاليم الإيْجا محمد أكثر حتى وإن كنت أظن أنني استوعبتها بما فيها الكفاية . لذلك يستحسن أن أحضر إلى ديترويت لأنضم إلى المعبد التي تدرس فيه تلك التعاليم .

كان ذلك في أغسطس حينما أعطوني محاضرة وبذلة رخيصة وقليلاً من النقود ثم خرجت من البوابة الكبيرة . لم أنظر خلفي مطلقاً إلا أن ذلك لا يميزني عن كثير من

obeikan.com

ملايين الزنوج الذين تركوا السجون. أول محطة وقفت فيها بعد ذلك كانت حماماً تركياً حيث تخلصت جسدياً من قذارات السجن. بقيت ليلة واحدة في منزل إللا وقد أيدت اختياري لديترويت قائلة أن رجال الشرطة هنالك لا يعلمون الكثير عني ولذا فلن يضايقونني. تلك كانت اعتبارات إللا وليست اعتبارات المسلمين السود الذين لم تعد إللا تهتم بهم. حاول كل من هيلدا وريجنالد إقناع إللا أن تعود للإسلام ولكنها بإرادتها القوية لم تستمع إليهم. أخبرتني أنه من حق أي إنسان أن يكون من السبتيين أو الزاحفين المقدسين أو ما شاء إلا أنها لن تظل مسلمة.

في صباح اليوم التالي أعطتني هلدا بعض النقود فذهبت إلى السوق واشتريت ثلاثة أشياء أذكرها جيداً الآن. اشتريت نظارة طبية أحسن منظراً من التي أعطوني إياها في السجن وحقيبة ملابس وساعة يد. وكثيراً ما فكرت بعد ذلك أنني بشرائي هذه الأشياء كنت، بدون أن أدري، أهيئ نفسي لنوع الحياة التي سأعيشها مستقبلاً فهذه الأشياء الثلاثة هي أكثر اشياء ستلازمني في حياتي بعد ذلك. النظارات كانت لعلاج اللابؤرية التي اكتسبتها من كثرة المطالعة في السجن. وأنا الآن أسافر بكثرة لدرجة أن زوجتي دائماً تعد لي حقيبتين جاهزتين لأخطف أحديهما وأسافر عند الضرورة إلى أي مكان كما أنك لن تجد شخصاً يهتم بالوقت حالياً أكثر مني فأنا أعيش بالساعة حتى لا يفوتني ميعاد. حتى وأنا أقود سيارتي تجدني أنظر إلى الساعة أكثر من عداد السرعة. أصبح الزمان أكثر أهمية عندي من المسافة.

ركبت الحافلة إلى ديترويت ومن هناك ذهبت إلى المتجر الذي يديره أخي في قلب الجيتو الأسود في ديترويت. لن أخبركم بعنوانه لأني سأحدثكم عن الطريقة التي بها يتم خداع الزنوج. قدمني ولفرد إلى اليهودي الذي يملك المحل وتم توظيفي كبائع في المتجر على حسب الاتفاق.

كان المحل يضع إعلاناً يقول فيه أن المحل يبيع بالأقساط وبدون مقدم الشيء الذي جذب الزنوج إلى المحل بالعشرات. إنها لطريقة مخجلة بمقتضاها يدفع الزنوج الثمن ثلاثة وأربعة أضعاف حتى يستطيعوا الشراء بالأقساط من ذلك اليهودي، بينما الأثاث المعروض هو نفس الأثاث في الجيتو الأسود. كان القماش مدبساً على الأرائك مع مفارش مصنوعة من جلد النمر المقلد وسجاد جلد الفهد الصناعي. كنت أرى تلك الأيدي الصلبة الخشنة المرتبكة وهي تخربش موقعة موافقة على عقود مكتوبة بخط دقيق تصعب قراءته وبفوائد ربوية ليست إلا نهباً مقنناً.

كنت أشاهد على الطبيعة نفس السالفة التي ذكرتها مجلة جت في طرفة عن حملة السناتور باري جولدوتر أثناء حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية عام ١٩٦٤.

تقول القصة أنه طُلب إلى رجل أبيض وزنجي ويهودي أن يختار كل منهم أمنية لتتحقق. طلب الأبيض سندات مالية وطلب الزنجي كثيراً من المال بينما طلب اليهودي مجوهرات مزيفة وعناوين بعض الزنوج.

مع كل حياتي وسنواتي في الشوارع كانت تلك أول مرة أشاهد فيها كيف يكون الاستغلال وأتفهمه . رأيت إخوتي السود يرمون بأنفسهم تحت قبضة الرجل الأبيض الاقتصادية الذي يذهب إلى بيته كل مساء وهو يحمل حقيبة ملأى بالنقود التي امتصها من الجيتو . رأيت أموال الرجل الأسود التي يفترض فيها أن تعينه ، يخرج بها الرجل الأبيض من الجيتو ويزداد بها ثراءً بينما يسكن في منطقة محرم على الزنوج دخولها إلا إذا كانوا يعملون في أحد المنازل هنالك .

دعاني ولفرد لأسكن معه في بيته فقبلت مسروراً وكانت العاطفة الدافئة في المنزل بمثابة تعويض لي عن وحدة قضبان السجن وذلك شيء يهز وجدان أي مسجون أطلق حديثاً . جعلني جو هذا المنزل المسلم أركع ساجداً وشاكراً لله . ومع أن خطابات أهلي كانت قد وصفت لي جو البيت المسلم إلا أن على الإنسان أن يعيشه ليقدره حق قدره . شرح لي ولفرد بهدوء وصبر كل فعل وأهميته في روتين البيت . في الصباح لا تجد فيه الجلبة التي تجدها في معظم البيوت . كان ولفرد الأب ، حامي الأسرة وعائلها ، أول من يستيقظ من النوم « فالأب يهيئ الطريق لأسرته » كما قال ثم ينهض ويتوضأ . بعد ذلك تأتي زوجته روث ثم أطفالها حتى يعم النظام في استعمال الحمام .

« باسم الله أتوضأ » ذلك ما يقوله المسلم قبل أن يغسل يده اليمنى ثم اليسرى. ثم تنظف الأسنان بإتقان تتبع ذلك مضمضة ثلاث مرات . كذلك يغسل الأنف ثلاث مرات . بعد ذلك يغسل باقي الجسم استعداداً للصلاة . وعندما يرى أفراد الأسرة بعضهم في الصباح حتى الأطفال منهم ، يحيي أحدهم الآخر بلطف « السلام عليكم » فيرد عليه الآخر « وعليكم السلام ». كما أن المسلم يردد لنفسه كثيراً «الله أكبر الله أكبر ».

يقوم ولفرد بعد ذلك بفرش السجادة للصلاة بينما البقية يغتسلون ويتوضؤون . شرحوا لي أن العائلة المسلمة تصلي والشمس تقترب من الأفق فإذا فاتهم ذلك عليهم الانتظار حتى تنزل الشمس من الأفق . «إن المسلمين ليسوا عبدة شمس كما أننا نتجه شرقاً في صلاتنا حتى نكون في وحدة مع بقية المسلمين البالغ عددهم ٧٢٥ مليون أخ وأخت في جميع أنحاء العالم».

تقف كل العائلة في أثواب محتشمة متجهة إلى الشرق في صلاتها . في انسجام

خلعنا نعالنا ووقفنا للصلاة .

اليوم أقف مع أفراد أسرتي وأقول باللغة العربية ما كنت أصلاً تعلمته باللغة الإنجليزية : نويت أن أؤدي صلاة الصبح لله تعالى ، الله أكبر . المجد والحمد لك يا رب والنعمة منك جل جلالك . أشهد أن لا معبود سواك ولا طاعة لعداك .

بعد ذلك نتناول طعام الإفطار الذي يتكون من عصير وقهوة بدون طعام صلب ثم نخرج أنا وولفرد إلى العمل وهنالك في منتصف النهار ثم في حوالي الثالثة ظهراً نتوضأ ونتعبد في هدوء بحيث لا يلحظنا أحد. يفعل أطفال المسلمين نفس الشيء في المدرسة كما تترك ربات البيوت المسلمات أعمالهن المنزلية لينضممن إلى مسلمي العالم الـ ٧٢٥ مليون في الاتصال بالله.

دعني أستمر في وصف حياة المسلمين والمجموعة المسلمة في بداية الخمسينات . أيام الأربعاء والجمعة والآحاد هي الأيام التي تلتقي فيها مجموعة المسلمين الصغيرة في المعبد رقم واحد . المعبد أساساً مقدمة متجر توجد بالقرب من سلخانة للخنازير كان صراخها وهي تقاد للذبح يصل مسامعنا في أيام الأربعاء والآحاد . عنوان المعبد رقم واحد كان ١٤٧٠ شارع فردريك فيما أظن ، وهو أول معبد أسسه ماستر و. د. فارد في عام ١٩٣١ في ديترويت ، ميشجان . وفي حياتي لم أر زنوجاً مسيحيين لهم مثل ذلك السلوك الذي رأيته عند الزنوج المسلمين . الرجال يرتدون ملابس محافظة تدلك على ذوق سليم والنساء يلبسن زياً بطول القدم وشالاً على الرأس والوجه بدون مكياج والأطفال الأنيقون مهذبون مع الكبار والصغار على السواء .

لم أحلم أبداً بوجود مثل ذلك الجو بين الزنوج . كانوا سوداً ولكنهم فخورون بسوادهم كما أنهم تعلموا محبة إخوانهم بدلاً من الشك والغيرة منهم وقد أبهجني أن المسلم يستخدم يديه الاثنين ليمسك بيد أخيه عند التحية ويشعره ويسمعه أنه سعيد بلقائه . أما النساء المسلمات ، عازبات ومتزوجات ، فكن يلقين من الاحترام والتبجيل ما لم أر أي رجل أسود يفعله تجاه نسائه من قبل . زاد ذلك من إعجابي بطريقتهم . والتحايا التي كنا نتبادلها كانت دافئة وتنم عن الاحترام والتجلة : « أخ» ... « أخت » ... « سيدة » ... « سيد». حتى الأطفال وهم يتحدثون إلى بعضهم البعض كانوا يستعملون هذه الكلمات . ياللروعة !

كان اسم الإمام في المعبد رقم واحد هو ليمول حسن وكان يحيينا قائلاً : «السلام عليكم » فنرد تحيته « وعليكم السلام ». بعد ذلك يقف منستر ليمول أمامنا وبجانبه سبورة سوداء مصبوغ عليها صور من الجانبين . في أحد الجانبين علم الولايات المتحدة وتحته الكلمات « العبودية ، العذاب ، الموت » ثم كلمة المسيحية وعلامة الصليب وبداخلها زنجي معلق من جذع شجرة . في الجانب الآخر كان

مطبوعاً علم قالوا لنا : إنه راية الإسلام وفيه الهلال مع نجمة على أرضية حمراء ثم الكلمات « الإسلام : حرية ، عدالة ، مساواة » وتحت ذلك جملة « أي هذان سيبقى بعد المعركة الفاصلة بين الخير والشر ؟ ».

حاضر منستر ليمول لأكثر من ساعة عن تعاليم الإلايْجا محمد بينما أنا جالس سابح ، ألتهم كل كلمة وكل حرف وكل إشارة من يديه . بين الحين والآخر كان يكتب بالطباشير على السبورة لتوضيح فكرة أو للتركيز على كلمة رئيسية . من جانبي كنت أرى أنه من المخزي ألا تكون كل المقاعد في المعبد مشغولة . قلت لأخي ولفرد أنه ينبغي ألا تكون هنالك مقاعد خالية بينما الشوارع المجاورة تعج بإخواننا وأخواتنا السود مغسولي الدماغ: يشربون الخمر ويسبون ، يتشاجرون ويرقصون ، يسكرون ويتعاطون الأفيون – وهي الأشياء التي علمنا مستر محمد أنها سبب انحطاط الرجل الأسود وبقائه تحت أقدام الرجل الأبيض في أمريكا .

بدا لي أن نظرتهم نحو تجنيد مسلمين جدد كانت انهزامية فهم يفترضون أن ما عليهم إلا الانتظار وأن الله سيأتيهم بمسلمين جدد . من ناحيتي شعرت أن الله يساعدك إذا ساعدت نفسك وأنا أدرى بأولئك الزنوج في الشوارع فقد عشت بينهم ولا فرق بين هارلم وديترويت في ذلك ويمكنني الحديث إليهم . أخبرت أخي بأنني لا أتفق معهم في وجهة نظرهم تلك وأننا يجب أن نخرج إلى الشارع وندعو الناس لينضموا إلينا . الحركة والنشاط كان من طبعي طوال عمري وبدأت أفقد الصبر إلا أن أخي ولفرد طلب مني ألا أستعجل الأمور . لم يصعب الصبر علي لأنني كنت أتوقع بعد قريب سأرى وربما سأتكلم مع الرجل الذي يسمى « الرسول ، إلايْجا محمد » شخصياً .

في هذه الأيام أقابل أحياناً شخصيات ذات شهرة عالمية بما في ذلك رؤساء دول ولكني مطلقاً لم أشعر بتشوق وانتظار لمقابلة شخص ما مثلما شعرت في ذلك الأحد السابق لأجازة عيد العمل من عام ١٩٥٢ . لقد قرر مسلمو معبد ديترويت رقم واحد تسيير قافلة من عشر سيارات للذهاب إلى شيكاجو والاستماع إلى الإلايْجا محمد في المعبد رقم اثنين في ذلك اليوم .

لم أشعر بالبهجة والترقب في حياتي مثلما شعرت بهما في ذلك اليوم وأنا داخل عربة أخي ولفرد ونحن في طريقنا لشيكاجو . لقد رأيت وسمعت وشعرت بآلاف الزنوج يلوحون ويصفقون محيين ولكنهم في عصر ذلك الأحد استقبلونا بعاصفة من التصفيق والحرارة أنزلت علي فيضاً من السعادة والابتهاج اقشعر له بدني .

لم أكن مستعداً لما أحدثته رؤية الإليْجا محمد الرسول من أثر على عواطفي. خرج من مؤخرة المعبد نحو المنصة شخص ضئيل هادئ ووديع ذو وجه أسمر، نفس الوجه الذي درست وتفحصت صورته حتى رأيتها في المنام، يتقدم إلى الأمام ويحيط به حرسه من شباب ثمار الإسلام. مقارنة بهم كان المبعوث يبدو نحيفا وهشاً كما أنهم كانوا يلبسون نفس اللبس الذي يلبسه، بذلة غامقة اللون، قميصاً أبيض، وبوبيانة. بالإضافة إلى ذلك كان المبعوث يرتدي طربوشاً موشى بالذهب.

حملقت في ذلك الرجل العظيم الذي اقتطع من وقته ليكتب لي خطاباً بينما أنا مجرد سجين لا يعرف عنه شيئاً. إنه الرجل الذي قضى سنوات من عمره في تضحية وعذاب حتى يتمكن من أن يقودنا نحن السود وذلك من شدة محبته لنا. عندما سمعت صوته انحنيت إلى الأمام وشدتني كلماته. أحاول الآن أن أتذكر ما قاله في ذلك اليوم وليس ذلك صعباً لأني سمعته مئات المرات بعد ذلك؟

« إنني لم أتوقف حتى لمدة يوم واحد في الواحد والعشرين سنة الأخيرة. كنت دائماً أقف لأعظكم خلال تلك المدة عندما كنت حراً وحتى وأنا في الأسر. لقد قضيت ثلاث سنوات ونصف في السجن الفدرالي بالإضافة إلى سنة أخرى في سجن البلدة لأني أدعو إلى الحق. لقد حُرمت من أطفالي وزوجي لسبع سنوات طوال كنت أهرب فيها من الأعداء والمنافقين. ألا فاعلموا أن في دعوة الله لكم حياة وأنها سترفع من قدركم لتصبحوا مثل الأمم الأخرى، المتحضرة والمستقلة على ظهر هذه البسيطة ».

تحدث الإليْجا محمد عن كيف أن « الشيطان الأبيض صاحب العيون الزرقاء» قد غسل أمخاخ من يسمون بالزنوج هنا في تيه أمريكا الشمالية ولمدة قرون. أخبرنا أنه بسبب ذلك يعتبر الرجل الأسود في أمريكا ميتاً عقلياً وأخلاقياً وروحياً. تحدث الإليْجا محمد عن كيف أن الرجل الأسود هو الإنسان الأول الذي اختطف من موطنه وحجبت عنه لغته وحضارته وتركيبة أسرته بل حتى اسمه إلى أن أصبح الرجل الأسود لا يعرف من هو. كذلك أرانا كيف أن تعاليمه سترتقي بالرجل الأسود من قاع المجتمع الأبيض وتضعه في مكانه الأصلي، على قمة الحضارة.

في الختام التقط أنفاسه ثم نادى باسمي.

كانت صدمة كهربائية بالنسبة لي وبدون أن ينظر ناحيتي طلب مني الوقوف.

حدثهم بأني خرجت لتوي من السجن كما أخبرهم عن قوة تحملي في السجن وأنني كنت كل يوم «ولسنوات كان الأخ مالكوم يكتب لي من السجن. وقد كنت أرد إليه بقدر ما أستطيع» وقفت وعيون مئتي مسلم تحدق فيَّ وسمعته يشبهني قائلاً: « عندما أثنى الله على أيوب وصبره قال الشيطان أنه لولا حماية الله لما استطاع أيوب صبراً ولما بقى مؤمناً. انزع عنه تلك الحماية وسأجعله يسيء إليك في حضرتك.

« سيقول عنه الشيطان أنه وهو داخل أسوار السجن استغل الإسلام أما الآن فهو قد خرج من السجن وسأعيده للخمر والتبغ والمخدرات وكل أنواع الرذيلة .

«الآن أزيلت عن أخينا مالكوم الحماية من الرذيلة وسنرى ما سيفعل . وإني أرى أنه سيظل مؤمناً » ذلك ما قاله إلايْجا محمد .

وغمرتني رحمة الله في أني ظللت مؤمناً وصامداً وقوياً في الإسلام بالرغم من أن الزمن امتحنني في ذلك أكثر من مرة . وحتى حينما اختلفت مع إلايْجا محمد في تلك المرة ، أخبرته في البداية وبكل إخلاص أنني ما زلت أؤمن به أكثر من إيمانه بنفسه . لقد افترقت عن إلايْجا بسبب الغيرة والحسد لأنني كنت أؤمن به كما لم أؤمن بشخص في هذا العالم قبل ذلك.

ستذكر أيها القارئ أنني ذكرت أن مستر محمد كان يحل ضيفاً على أخي ولفرد في أي وقت يزور فيه المعبد رقم واحد في ديترويت . كان كل مسلم يقول إنه ليس باستطاعة أي منا نحن أتباعه أن نرد جميله ونجازيه . في نفس تلك الليلة دعانا مستر محمد أنا وكل أفراد أسرتي مع مِنِسْتَر ليمول حسن لتناول العشاء معه في منزله بعد الاجتماع . ذكر لنا مستر محمد أن أبناءه وأتباعه أصروا عليه أن ينتقل إلى هذا البيت الأكبر حجماً ذي الثماني عشرة غرفة والذي عنوانه ٤٨٤٧ شارع وود لون في شيكاجو وكانوا قد رحلوا إليه لتوهم في ذلك الأسبوع . عندما وصلنا أرانا مستر محمد أنه كان يدهن الحوائط . ضغطت على نفسي من أن أجري وأحضر له مقعداً وبدلاً من ذلك كان هو يعمل على راحتنا .

كنا نأمل أن نسمع شيئاً من كلامه الحكيم أثناء العشاء ولكنه بدلاً من ذلك ، كان يشجعنا نحن على الكلام . جلست أفكر في كيف أن معبدنا في ديترويت كان سلبياً يرجو من الله أن يأتي بمؤمنين جدد بدون مجهود منا . فوق ذلك ، فكرت في ملايين السود في كل أرجاء أمريكا الذين لم يسمعوا بالتعاليم التي بإمكانها أن تهز وتوقظ وتنقذ الرجل الأسود ... وهنالك على مائدة مستر محمد وجدت الكلمات طريقها إلى لساني . ذلك طبيعي لأنني كنت دائماً صريحاً .

توقف الحديث برهة فاغتنمت الفرصة وسألت مستر محمد عن عدد المسلمين الذين ينبغي أن ينضموا إلى المعبد رقم واحد في ديترويت .

ينبغي أن يكون هناك ألوف .

نعم سيدي . وما هو رأيك في أحسن طريقة لاجتذاب الألوف إلى هناك .

جند الصغار أولاً وسيتبعهم الكبار خجلاً .

في تلك اللحظة حزمت أمري أننا سنتبع تلك النصيحة . وعندما عدنا إلى ديترويت

تحدثت مع أخي ولفرد في ذلك الشأن ثم تقدمت متبرعاً بجهودي لمنستر ليمول حسن ، مسئول المعبد . اتفق معي في إصراري على أن نطبق نصيحة مستر محمد في حملة للتجنيد . بدأت في نفس ذلك اليوم وكنت في كل مساء بعد ذلك أذهب مباشرة عند انتهاء عملي في متجر الأثاث إلى القيام بما كنا نسميه نحن المسلمين السود «بالصيد» كنت ملماً بتفكير ولغة الجيتو فاستغللت معرفتي تلك في الاقتراب من الناس قائلاً مثلاً : « يا صاح ، دعني أنزع الغطاء لأحدثك عن ... ».

كنت طبعاً قدمت للانضمام إلى جماعة الإيْجا محمد وفي غضون ذلك وصلت من شيكاجو الموافقة مع لقبي الجديد ، إكس . كان الحرف اكس يرمز بالنسبة للمسلمين إلى اسم العائلة الحقيقي الذي يجهله الزنوج سلالة القبائل الأفريقية التي اختطفت إلى أمريكا . في حالتي أصبح إكس يقوم مقام اسم لتل الذي كان أصلاً اسم من كان يسترق جدودي . وضع اكس بعد اسمي الأول كان يعني أنني سأعرف بذلك الحرف إلى الأبد إلى أن يعيد الله لي اسماً مقدساً .

بدأت أجند في جيتو ديترويت ، في الحانات وقاعات البلياردو وأطراف الشوارع ووجدت أخوتي الزنوج الفقراء الجهلاء مغسولي الدماغ ، واستجابتهم استجابة صم ، عمي ، بكم عقلياً وروحانياً وخلقياً . ساءني أنهم كانوا نادراً ما يبدون أي نوع من الاهتمام أو الفضول نحو التعاليم التي ستنتشلهم من كل ذلك . كنت أسترجي القلة التي تبدي نوعاً من الاهتمام أن تحضر إلى المعبد رقم واحد فيقبل الدعوة أقل من نصفهم ويحضر فعلاً أقل من نصف من قبلوا الدعوة .

تدريجياً بدأ البعض يستجيب ومع كل شهر كان عدد العربات يزداد في قافلتنا الذاهبة من ديترويت إلى شيكاجو لزيارة الإيْجا محمد . وحتى بعد أن يروا الإيْجا شخصياً ويستمعوا إليه ، كان القليل منهم يتقدم بطلب رسمي لمستر محمد لقبوله في الدعوة .

بعد عدة شهور على أية حال تضاعف عددنا في ديترويت إلى ثلاثة أمثاله قبل ذلك وسر مستر محمد بذلك كثيراً لدرجة أنه قام بزيارة لنا . أثنى مستر محمد عليَّ كثيراً حينما أخبره منستر ليمول حسن عن الجهود التي أبذلها أنا في سبيل الإسلام . كذلك بدأت قافلتنا في النمو حتى أصبح عدد العربات الذاهبة إلى شيكاجو كل شهر خمساً وعشرين عربة وفي كل مرة كان مستر محمد يكرمنا بتناول العشاء عنده . كان واضحاً لي أنه بدأ يهتم بي . أما أنا فكنت أعبده .

في أوائل عام ١٩٥٣ تركت العمل في متجر الأثاث وصرت أعمل في مصنع خشب القار حيث كانوا يعطونني مرتباً أكبر بعض الشيء . كانوا يصنعون صناديق عربات الزبالة وكنت أقوم بتنظيف الهياكل بعد أن ينتهي منها عمال اللحام .

كان مستر محمد يقول لنا أثناء العشاء : إن أشد ما يحتاج إليه هو انضمام عدد أكبر من الشباب لدعوته حتى يتحملوا المسئولية من على ظهر أئمته . كان يقول أن تعاليمه يجب أن تنتشر أكثر وأكثر وينبغي تأسيس معبد في كل مدينة . أنا شخصياً لم يخطر ببالي أبداً أنني قد أصبح مِنِسْتَر ولم أشعر بأنني مؤهل حتى ولو من بعيد لأن أمثل مستر محمد وإذا قال لي شخص ذلك كنت سأندهش حينها وأقول له : إنني سعيد بخدمة مستر محمد حتى في أحط وظيفة .

وعندما سألني مِنِسْتَر ليمول حسن أن أخاطب مجموعة الأخوة والأخوات لم أدر هل كان ذلك بوحي من مستر محمد أو أن مِنِسْتَر حسن قرر ذلك من تلقاء نفسه . أذكر أنني قمت وحدثتهم عن أثر تعاليم مستر محمد عليَّ وما فعلته بحياتي قائلاً : « لو حكيت لكم قصة حياتي لما صدقتموني . وعندما أقول الآن شيئاً عن الرجل الأبيض فلأنني أعرفه حق المعرفة ».

بعد ذلك بمدة طلب مني مِنِسْتَر ليمول حسن أن أرتجل محاضرة . ترددت في البداية ولكني تذكرت اشتراكي في المناظرات في السجن فتشجعت وألقيت عليهم محاضرة . (من الطبيعي أنني لا أذكر ما قلته بالضبط ولكنني أذكر أن موضوعي المفضل في ذلك الوقت كان الحديث عن المسيحية ، وعن فظائع الرق إذ أنني كنت أشعر بأني أعرف عنه الكفاية من مطالعاتي في السجن) .

« أيها الأخوة والأخوات : علمتنا ديانة المستعبد المسيحي نحن الزنوج الموجودين في تيه أمريكا الشمالية أننا عندما نموت ستصبح لنا أجنحة نطير بها في السماء حيث يحتفظ الإله لنا بمكان يسمى الجنة . ديانة الرجل الأبيض المسيحية هذه غسلت أمخاخنا نحن الزنوج . قبلناها ! احتضناها وآمنا بها ! بل مارسناها ! ونحن نقوم بذلك قام هذا الشيطان الأبيض ذو العيون الزرقاء بتحويرها لمصلحته ولوضع أقدامه فوق ظهورنا .... كي نستمر نحن نرجو السماء والحياة الآخرة بينما هو يستمتع بجنته هنا ... على هذه البسيطة ... وفي هذه الحياة ».

مع أني أتحدث اليوم أمام آلاف المسلمين وقد استمع إلى الملايين من المذياع والتلفاز ، ولكن الشعور بالبهجة والرهبة الذي أثارته في مخاطبة ذلك العدد البسيط في معبد ديترويت كان شعوراً لا يبارى . كانوا خمسة وسبعين أو مائة مسلم مع عدد قليل من الضيوف الفضوليين، وجوههم تنظر إليَّ في دهشة وأصوات الخنازير وهي تقاد إلى المسلخ تصلنا من بعيد .

في صيف عام ١٩٥٣ – وكل الشكر لله – نصبت مساعداً أول لإمام معبد ديترويت رقم واحد.

Obeikan.com

كنت أخرج كل يوم بعد العمل لأصطاد المجندين في جيتو ديترويت الأسود . رأيت القسمات الأفريقية لوجوه أخوتي الذين ضللهم الرجل الأبيض الشرير . رأيت شعورهم المكوية بمحلول القلي حتى صارت معتدلة كشعر الرجل الأبيض مثلما كان شعري في السابق . المرة بعد المرة كانوا يرفضون الاستماع الي وأحياناً يسخرون مني : ابعد عني أيها الرجل . أنكم زنوج مخبولون . « أحياناً كنت أفور غضباً ورثاءً لهم . ومع ذلك كنت أتشوق وأنتظر الفرصة التي يطلب مني فيها منستر ليمول حسن أن أتكلم :

« إننا لم نرس على جبل بليموث .. بل هو الذي رسى فوقنا» «أعط كل ما تستطيع لمساعدة دعوة الإيْجا محمد لتحقيق استقلال الرجل الأسود .... لقد تحكم هذا الأبيض فينا نحن السود كثيراً وتركنا نلهث وراءه ونتسول قائلين: من فضلك سيدي .. تكرم علينا وأنت سيدنا ، ارم لنا ببعض الفتات من مائدتك التي تغث بالطيبات ...

« ...يا أخوتي السود السمحين ، إننا عندما نقول : سود فإننا نقصد كل من لم يكن أبيضَ. انظر إلى لون بشترك . إننا كلنا سود في نظره بالرغم من أن لنا ألف لون . انظر وراءك، انظر حولك، انظروا إلى بعضكم البعض . أي ظل من السواد الأفريقي الذي لوثه هذا الشيطان هو لون بشرتك؟ انظر إليَّ ... حسناً ، كانوا يسمونني في الشوارع أصهب ديترويت . نعم ! نعم ! المغتصب صاحب الشعر الأحمر كان جدي ! نعم ، تلك الدرجة من القربى ... كان أباً لأمي . لم تكن تحب أن تتكلم عن ذلك ولا يحق لنا لومها – أنها لم تكن تره أبداً وكانت مسرورة بعدم رؤيته وأنا مسرور بسرورها . لو استطعت لأخرجت ذلك الدم من جسمي . الدم الذي يلوث لوني . سأفعلها لو استطعت لأنني أمقت كل نقطة من دمه تجري في جسمي .

« ولست أنا وحدي في ذلك ، فكلنا كذلك ، فكر في ذلك ، لقد كان من النادر جداً في زمن العبودية أن تنجو لنا جدة سوداء أو أمها أو جدة الجدة من اغتصاب السيد الأبيض . السيد الأبيض المغتصب الذي جعل من جدودنا خصياناً بالخوف والتهديد والوعيد إلى درجة أن الرجل الأسود حتى اليوم ما زال يعيش في خوف من الرجل الأبيض ، وما زال حتى اليوم يعيش تحت أقدام الرجل الأبيض .

« فكر في ذلك – فكر في ذلك الرجل الأسود وقلبه يمتلئ خوفاً ورعباً وهو يسمع صراخ زوجته أو أمه أو بنته وهي تؤخذ عنوة ، سواء أكان ذلك في المطبخ ، في الإسطبل أو في الغابة. فكروا في ذلك إخواني وأخواتي الأعزاء . فكروا في سماع الزوجات والأمهات والإبنات وهن يغتصبن وأنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً لخوفك من ذلك المغتصب . فكر في حصيلة هجومه القاسي المتوحش ، أبناء وبنات يسميهم بأسماء مثل « مولاتو» و« ومولد»و « وخلاسي » وكل تلك الأسماء التي ينادينا بها

حينما لا ينادينا بلفظ « نيجر».

« در حول نفسك وانظر إلى إخوانك وأخواتك وفكر في ذلك . أنا وأنت وكل هذه الألوان الملوثة وبعد كل ذلك يجد هذا الشيطان المتبجح الوقاحة التي بها يطلب منا أن نحبه ».

كانت العبرة تكاد تخنقني أحياناً فأتمشى في الشوارع حتى ساعة متأخرة من الليل . وأحياناً كنت أحادث نفسي بالساعات وأفكر فيما فعله الرجل الأبيض لأهلي الفقراء الطيبين في أمريكا .

في مصنع أخشاب القار حيث أعمل حضر إليَّ في أحد الأيام رئيسي في العمل والقلق يبدو على وجهه وأخبرني أن هنالك شخصاً ينتظرني في المكتب . وجدت هنالك شخصاً أبيض قدم لي نفسه على أنه من الـ أف . بي. أي (المباحث الفدرالية) . فتح بطاقة وأراني إياها ليرهبني بعض الشيء ثم طلب مني أن أحضر معه بدون أن يقول السبب . خرجت معه وهنالك في مكتبهم سألوني لماذا لم أسجل اسمي للتجنيد الإلزامي للحرب الكورية .

أجبتهم بأني « خرجت لتوي من السجن ولم أكن أعلم أنهم يقبلون من لهم صحيفة سوابق.» صدقوا روايتي وسألوني عديداً من الأسئلة وقد سرني أنهم لم يسألوني إن كنت أنوي أن أحارب لأنني لم أكن أنوي ذلك بينما هم لا يتخيلون أني سأمانع . أخبروني أنهم لن يفتحوا بلاغاً ضدي ويتسببون في إرسالي للسجن ولكنهم سيمنحونني فرصة أخرى وأن عليَّ أن أسجل اسمي رأساً .

ذهبت رأساً إلى مكتب لجنة التجنيد الإلزامي فأعطوني استمارة ملأتها وكتبت في المكان الملائم بأنني مسلم وأنني من « معترضي الضمير» . قدمت لهم الاستمارة فاستلمها رجل متوسط العمر ، شيطان أبيض ضجران ، فقرأها بسرعة ونظر إليَّ من فوق نظارته . نهض واقفاً ثم دخل مكتباً آخر لاستشارة أحد رؤسائه فيما يبدو ثم عاد بعد مدة وأشار لي أن أدخل مكتب رئيسه . هنالك وجدت ثلاثة شياطين أكبر عمراً يجلسون خلف أدراج وعلى وجوههم نظرة تقول « ماذا يريد هذا الزنجي المشاكس» فوضعت على وجهي نظرة « هذا الشيطان الأبيض» سألوني على أي أساس أقول أني مسلم فأجبتهم بأن الإيْجا محمد هو المبعوث وأن أتباعه في أمريكا مسلمون . كنت أعلم أنهم سمعوا ذلك قبلاً من بعض الأخوة الشباب في معبدنا الذين قابلوا اللجنة قبلاً .

سألوني إن كنت أعرف معنى « معترض الضمير» أجبتهم بأنه عندما يطلب مني الرجل الأبيض أن أذهب وأحارب لكي يحافظ هو على طريقة حياته ومعاملته لنا فأن

ضميري يمنعني من ذلك . أخبروني بعد ذلك أن حالتي ستخضع لإعادة نظر ولكنهم جعلوني أقوم بالفحص الطبي على أية حال ثم أرسلوا إليَّ بالبريد بطاقة عليها تصنيف ما . كان ذلك في عام ١٩٥٣ ، ثم لم اسمع منهم لمدة سبع سنوات أخرى بعد ذلك عندما أرسلوا لي بطاقة تحمل تصنيفاً مختلفاً عن الأول . إنني حتى مازلت أحملها معي الآن وها هي : رقم البطاقة ٢٠٢١٩٢٥١٣٧٧ وتاريخها ٢١ نوفمبر ١٩٦٠ والتصنيف هو ٥ – أ ولا أدري معنى ذلك بالضبط وعلى ظهر البطاقة خاتم اللجنة وعنوانها لجنة ميشجان المحلية رقم ١٩ ، مقاطعة وين ، ٣٦٠٤ جنوب شارع وين ، ميشجان .

صرت عندما أتحدث في المعبد رقم واحد أجد أن صوتي ما زال أجشاً من المحاضرة السابقة . احتجت إلى وقت طويل قبل أن تتعود حنجرتي على تلك الحالة .

« أتدرون لماذا يكرهكم الرجل الأبيض ؟ لأنه كلما رأى وجوهكم رأى فيها جريمته – الشيء الذي لا يحتمله ضميره» .

« إن على كل أبيض أن ينحني حينما ينظر في عيني أي رجل أسود ويقول له : إنني أعتذر – أعتذر لك عن أفظع جريمة في التاريخ ارتكبها قومي ضد قومك ، هلا منحتني الفرصة لأكفر عن ذلك ؟! ولكن هل منكم أيها الأخوة من ينتظر ذلك منه ؟ لا ، فأنتم أدرى . أتدرون لماذا لن يفعل ذلك ؟ لأنه لا يستطيع ، فالرجل الأبيض خلق شيطاناً ليعيث في الأرض فساداً ».

في حوالي ذلك الزمن تركت العمل في مصنع القار للأخشاب وبدأت أعمل في شركة فورد للعربات وذلك في أحد أقسام التجميع في مصنع عربات لنكون وميركوري.

بصفتي منستر صغير كنت أستغل أية فرصة تسنح لي للذهاب إلى شيكاجو وزيارة الإلْيجا محمد الذي كان يشجعني كي أزوره أي وقت . كان يعاملني وكأني أحد أبنائه من زوجته السمراء الأخت سارة محمد . لم أكن أقابل أبناءه إلا نادراً إذ أن أغلبهم كان يعمل خارج شيكاجو في أعمال مختلفة كعمال أو سائقي عربات أجرة وأشياء من ذلك القبيل . كنت أقضي مع الأم ماري وقتاً مماثلاً للذي أقضيه مع مستر محمد وكنت أستلذ بسماع ذكرياتها عن طفولة وشباب ابنها عندما كانوا يقيمون في ساندرفيل بولاية جورجيا حيث ولد عام ١٨٩٧ .

كان مستر محمد يتحدث معي بالساعات وكنا نبقى بعد تناول طعام المسلمين الصحي الطاهر ونتجاذب أطراف الحديث . أحياناً كنت أركب معه العربة في جولته اليومية في متاجر البقالة القليلة العدد التي يملكها المسلمون السود في شيكاجو . كانت تلك المتاجر نموذجاً لما يمكن أن يفعله السود لمساعدة أنفسهم بأن يستأجروا عمالاً من بينهم وأن يبيعوا ويشتروا من بعضهم البعض بدلاً من أن يستغلهم الرجل الأبيض .

كنا نقف عند المتجر في شارع وينتورث والذي هو عبارة عن بقالة وصيدلية ، حيث ينزل مستر محمد ويكنس الأرض بنفسه . كان يفعل ذلك ليرى أتباعه أن العطالة والكسل أسوأ ما يمكن أن يفعله الأسود ليضر بنفسه . كنت أهم بنزع المكنسة من يده لاعتقادي أنه أعظم من أن يمسح الأرض ولكنه لا يدعني أن أفعل ذلك ويريد لي أن أبقى معه وأستمع إلى نصحه عن أحسن وسيلة لنشر دعوته . كنا مع بعض مثل سقراط وهو ينشر حكمته بين تلامذته في مدرجات سوق أثينا أو كصورة أرسطو وتلاميذه من خلفه في الليسيوم .

أذكر ذات يوم أن كان هنالك كوب متسخ على الطاولة فوضع مستر محمد كوباً نظيفاً بجانبه وقال : « أتريد أن تعرف السبيل إلى نشر تعاليمي ؟ » وأشار إلى الكوبين . « لا تدين شخصاً إذا رأيت عنده كوباً متسخاً ولكن دعه يرى كوباً نظيفاً وعندها لن تحتاج لأن تقنعه أن كوبك أنظف ».

وعندما يكون مستر محمد مشغولاً كانت الأم ماري تكلمني عن طفولة إبنها وعنه وهو يكبر في جورجيا إلى أن وصل سن البلوغ . أخبرتني الأم ماري أنها عندما كانت في السابعة من عمرها رأت في المنام أنها ستصبح ذات يوم أمًّا لشخص سيكون له شأن عظيم . تزوجت من قس معمداني ، الأب بول الذي كان يعمل في المزارع وطواحين قطع الأخشاب حول مدينة ساندرفيل . كلمتني أن الإلايْجا محمد كان مختلفاً جداً عن بقية أطفالها الثلاثة عشر حتى وهو طفل يحبو . كان الولد الصغير دقيق الجسم يقضي في المنازعات بين إخوته وبالرغم من صغر سنه أصبح لهم قائداً . عندما دخل المدرسة أصبح يبدي اهتماماً بالوضع العنصري وبعد إكمال الصف الرابع ترك الإلايْجا الدراسة من أجل العمل بسبب الفقر . وقد قامت إحدى أخواته الكبار بتعليمه في البيت على قدر ما يستطاع .

أخبرتني الأم ماري أن الإلايْجا كان يقضي الساعات وهو يدرس الإنجيل والدموع تترقرق في عينيه .

(علمت من مستر محمد نفسه لاحقاً أنه في صباه كان يشعر أن كلمات الإنجيل مثل باب موصد يمكن فتحه إذا عرف السر وأنه كان يبكي لشعوره بالإحباط في محاولته للفهم) كبر الإلايْجا ووصل سن المراهقة وهو بعد دقيق الجسم وكان يظهر حبًّا فائقاً لبني جنسه وكما أخبرتنا الأم ماري كان دائماً يدافع عن أخطاء السود ويجد لها المبررات .

توفيت الأم ماري بعد ذلك بفترة وجيزة وأقيمت لها جنازة من أعظم ما شهدت شيكاجو حضرها المسلمون السود وكل من يعرفها ويعرف عمق الرابطة بينها وبين

ابنها الإيْجا محمد .

« لست أخجل من قلة تعليمي» هذا ما كان يقوله الإيجا ، « ولأنني توقفت في الصف الرابع فإن ذلك يبرهن أنني لا أتعلم إلا الحقيقة التي علمني الله . لقد علمني الله الرياضيات ووجدني ألثغاً فقوم نطقي ».

قال لي مستر محمد أنه عجز عن فهم السبب الذي يجعل مزارعي ساندرفيل البيض ، رؤساء العمال في مراكز قطع الأخشاب والمخدمين البيض ، دائماً يسبون العمال الزنوج وأنه عندما يبدأ في العمل مع أحدهم يسأله بأدب ألا يسبه وأن يفصله عن العمل إذا لم يعجبه أداؤه بدلاً من سبه .

(كانت خطب مستر محمد لا تختلف كثيراً عن حديثه العادي فهو لم يكن خطيباً مصقعاً أو فصيحاً ولكن كان لما يقوله أثر عميق ليس للخطباء المفوهين) . كذلك قال أنه كان يعمل بجد في وظيفته حتى أنه أصبح رئيساً للعمال الزنوج .

بعد أن تقابل مستر محمد والأخت كلارا وتزوجا ورزقا بأول طفلين ، حدث ذات مرة أن سب مخدم أبيض مستر محمد في عام ١٩٢٣ وكان اسمه حينها الإيْجا بول . ولأنه يفضل البعد عن المشاكل ، أخذ الإيْجا بول عائلته إلى ديترويت وكان عمره خمسة وعشرين عاماً حينذاك . في ديترويت رزق بخمسة أطفال آخرين كما ولد آخر أطفاله في شيكاجو .

في عام ١٩٣١ قابل مستر محمد ماسترو. د. فارد في ديترويت.

كانت آثار الكساد الاقتصادي في كل مكان وفي الجيتو بخاصة كانت عميقة كما علمت من مستر محمد . وكان هنالك رجل أسمر دقيق الجسم يمر على مساكن فقراء الزنوج منزلاً منزلاً يبيع الحرير والأقمشة الأخرى ويعرف نفسه قائلاً : « أخ لكم من الشرق ».

بدأ ذلك الرجل يحكي للزنوج من أين جاءوا ، وعن أراض بعيدة كانت موطناً لأجدادهم – كان يحذرهم من أكل «الخنزير القذر » والأطعمة الدنسة التي يأكلها الزنوج بكثرة وكان عندما يجد آذاناً صاغية يعقد اجتماعات في منازل بعضهم ثم يعلمهم القرآن والإنجيل وكان الإيْجا بول من بين تلاميذه .

كان اسم ذلك الرجل و. د. فارد وقد زعم أنه ولد في قريش قبيلة محمد بن عبدالله ، النبي العربي نفسه (ﷺ). كان تاجر الحرائر هذا ، ماسترو. د. فارد ، يعرف الإنجيل أكثر من أي زنجي مسيحي.

علمهم ماسترو د. فارد أن زنوج أمريكا من سلالة المسلمين وأنهم الشياه الضائعة التي فقدتها أمة الإسلام لمدة أربعمائة عام وأنه ، ماستر فارد ، قد أتى لينقذ ويعيد الزنجي إلى دينه الحقيقي .

كـان ماسـتر فـارد يقـول لهـم : لا جنـة ـفي السـماء ولا جحـيم ـفي الأرض وأن الجنـة والجحيم أوضـاع يمكـن أن يعيشـها النـاس هنـا علـى الأرض . أخـبرهم أن الزنـوج ـفي أمريكا عاشوا ـفي الجحيم لمدة أربعمائة سنة وأنه أي ماستر فارد ، قد أتى ليأخذهم إلى ما هو الجنة – بالنسبة لهم ، إلى موطنهم وبين أهليهم .

علم ماستر فـارد أنـه وكمـا بـالأرض جحيم فـإن بهـا الشـيطان ، الجنـس الأبـيض الذي هُجِّن من الإنسان الأول الأسود قبل ستة آلاف عام خصيصاً حتي يحـول الأرض إلى جحيم لمدة ستة آلاف عام . أخبرهم أن السـود هـم أطفـال الإلـه وأنهـم آلهـة ـفي ذات نفسـهم وأنهـم كـان بيـنهم كيانًـا كـان إلـه الآلهـة : الأعظـم والأكـبر والأحكـم والأقوى – وأن اسمه الحقيقي هو الله . كان ماستر فارد يدرس تلاميذه ـفي ديترويت أن كل الديانات تتفق أن هنالك يوماً آخر وأنه عند اقتراب نهاية الزمان سيأتي الله لإنقاذ الشياه التائهة ويبعدها عن أعدائها ويعيدها لوطنها . علمهم ماستر فارد أن تلك النبوءة تشير إلى الواجد ومنقذ تلك الشياه الضائعة باسم ابن البشر ، أو الله نفسـه أو واهـب الحياة ، أو المنقذ أو المسيح الذي سيأتي كالبرق من الشرق ليظهر ـفي الغرب .

إنه الذي يسميه اليهود بالمسيح ويسميه المسيحيون يسوع ويسميه المسلمون بالمهدي .

كنت أجلس متسمرًا وأنا أسمع مـن فـم الإيْجـا محمـد مـا كنـت أؤمـن حينهـا أنـه التاريخ الحقيقـي لـديانتنا ، ديـن الرجـل الأسـود الحقيقـي . أخبرنـي مسـتر محمـد أنـه رأى رؤيا ذات مساء مفادها أن ماسترو. د. فارد إنما هو تجسيد للنبوءة .

« سألته من أنت وما اسمك الحقيقي ؟ » ، واصل مسـتر محمـد حديثـه . « أجـاب : أنا الذي ظل العالم ينتظرني ـفي الألفي سنة الأخيرة ».

« سـألته مـرة ثانيـة (مـا اسمـك الحقيقـي ؟) وعنـدها أجـاب « المهـدي وقـد أتيـت لأقودكم على طريق الهدى ».

يقول مستر محمد أنه جلس ليستمع بقلب مفتوح وعقل مفتوح مثلما أجلس أنا الآن استمع إلى مستر محمد وأضاف مستر محمد أنه لا يراوده أي شك فيما قال له « المنقذ » .

بـدأ ماسـتر فـارد ـفي تنظـيم جماعتـه ونظـم صـفاً لتـدريب الأئمـة ليْواصـلوا نشـر التعاليم لأهل أمريكا السود وأعطى أسماءً لأول مجموعة فسـمى الإيْجـا بـول الإيْجـا كـريم . بعـد ذلـك أنشـأ ماسـتر فـارد ـفي ديترويـت عـام ١٩٣١ جامعـة الإسـلام الـتي كانـت بهـا فصـول تـدرس عـدة علـوم مـن بينهـا الرياضـيات لمسـاعدة الزنـوج حتـى لا تخدعهم وتخدرهم ألاعيب الشيطان الأبيض ذي العيون الـزرق . إنشـاء مدرسـة مـن لا شيء عمل صـعب خاصـة أنهـا تفتقـر إلى المدرسـين الأكفـاء ولكـن كـان لا بـد مـن البدء ـفي ذلك وقد أخـرج الإيْجـا كـريم أطفالـه مـن المـدارس الحكوميـة ـفي ديترويـت

ليصبحوا نواة لجامعة الإسلام . وقد كلمني مستر محمد أن أطفاله الكبار ضحوا بتعليمهم حتى يصبحوا نواة جامعات الإسلام التي تراها اليوم في ديترويت وشيكاجو بعد أن ارتفع مستوى أساتذتها .

اختار ماسترو. د. فارد الإيْجا كريم ليصبح الإمام الأكبر فوق كل أئمته الآخرين مما أثار حسدهم وبغضهم له كما أنهم كانوا أفصح لساناً منه ؟

لكن الإيْجا بول أعيدت تسميته بطريقة ما ليصبح الإيْجا محمد الذي استمر بوصفه الإمام الأكبر في تلقي تعاليم خاصة من ماسترو. د. فارد وفي غضون ذلك « تعلم أشياء لم تكشف للآخرين ».

وفي خلال تلك الفترة ذهب مستر الإيْجا محمد وماسترو. د. فارد إلى شيكاجو وأنشآ المعبد رقم اثنين كما مهدا لإنشاء معبد ثالث في مدينة ميلواكي .

في عام ١٩٣٤ اختفى ماسترو. د. فارد دون أثر .

أعلمني الإيْجا محمد أن الأئمة الآخرين في غلواء حقدهم وحسدهم له حاولوا قتله أكثر من مرة وأنه اضطر بسبب نفاقهم أن يهاجر إلى شيكاجو . هناك جعل من المعبد رقم اثنين مقراً لرئاسته فتقصى أولئك أثره حتى اضطر إلى الفرار مرة أخرى . ذهب إلى مدينة واشنطن هذه المرة وأنشأ المعبد رقم أربعة وفي أثناء وجوده هنالك كان يذهب إلى مكتبة الكونجرس ويطلع على الكتب التي أخبره ماستر و. د. فارد عنها وأنها تحتوي على أجزاء من الحقيقة سجلها الرجل الأبيض ولكنها عادة غير متاحة للجمهور .

زعم مستر محمد أن المنافقين كانوا يتعقبونه ولذا كان لا يكاد يستقر في مدينة إلا ويتركها وهكذا من مدينة لأخرى . كان بين الفينة والأخرى وعلى قدر ما يستطيع ينسحب عائداً إلى مقره ليطمئن على زوجته وأطفاله الثمانية الذين أواهم مسلمون فقراء قاسموهم ما عندهم . لم يكن حتى أتباعه الأولون في شيكاجو يعرفون أنه بالمدينة وذلك لاتقاء شر المنافقين الذين كانوا ينوون قتله . في عام ١٩٤٢ اعتقل مستر محمد لأن بعض الزنوج من نوع العم توم (المنافقين) أوشوا به وبتعاليمه عند الرجل الأبيض الشرير كما يقول وحوكم بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية مع أن عمره فات سن التجنيد . حكم عليه بخمس سنوات سجناً قضى منها ثلاث سنوات ونصف في السجن الفيدرالي في مدينة ميلان ، ميشجان قبل أن يفرج عنه بتعهد . بعد ذلك رجع إلى رسالته ليزيل الغشاوة عن أعين الرجل الأسود في تيه أمريكا .

أكاد أسمع صوتي الآن وأنا أقف أمام المقرأ في معبدنا الإسلامي الصغير أخاطب إخواني وأخواتي بعاطفة جياشة وأقول :

« هذا الرجل الضئيل الجسم ، الوديع ، حلو المعشر ! صاحب الشرف الرفيع الذي يعلم

إخواننا وأخواتنا هذه الساعة في شيكاجو ! مبعوث العناية الإلهية – التي جعلت منه أعظم رجل أسود في أمريكا ! من أجلي ومن أجلك قضى سبع سنوات مختفيا من متعقبيه المنافقين الدنسين ثم ثلاث سنوات ونصف أخرى محبوسا بين القضبان حيث وضعه الرجل الشيطان الأبيض . الشيطان الأبيض لا يريد لصاحب الشرف الرفيع أن يزيل غفوة العملاق الأسود الكامن فيَّ وفيك وفي كل واحد من أهلنا الجهلاء مغسولي الدماغ هنا في جنة الرجل الأبيض وجحيم الرجل الأسود في تيه أمريكا ».

« لقد جلست عند قدميه وسمعت كلمة الحق من لسانه وعاهدته وأنا أركع لله أنني سأبلغ الرجل الأبيض بجرائمه وأبلغ الرجل الأسود بتعاليم سيدنا صاحب الشرف الرفيع إلايْجا محمد حتى وإن كلفني ذلك حياتي ».

ذلك كان موقفي وذلك هو عهد قطعته على نفسي أردده في أي مكان بلا خوف أو تردد . كنت أخلص خدامه وأنا اليوم أدرك أنني آمنت به أكثر من إيمانه بنفسه .

في مستقبل الأيام سأواجه أزمة روحية بسبب ذلك .

أليجا محمد

مالكوم إكس واليجا محمد يمسكان بأيدي بعض في اجتماع في مدينة فيلادلفيا